الليل وبردهم ان كلا من هذه الثلاثة يقتضي افضلية الثاني وبان الاول امتنان لامره تعالى
لنبيه بانه يقول قوله ويقول اللهم الخ اي ما يقول رواه احمد وابن راهويه والحميدي
في مسانيدهم وثبت في الصحيحين ورواه النسائي وابو داود وابن ماجه وابن الجارود
وابن خزيمة وابن حبان والاسماعيلي وابو عوانه والبرقاني وابو نعيم والبيهقي والبغوي
في شرح السنة وغيرهم عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كبر في
الصلاة سكت هنيهة قبل ان يقرا فقلت يا رسول الله بابي انت وامي رايت سكوتك
بين التكبير والقراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي الخ
قوله باعد بيني وبين خطاياي المراد بالمباعدة اما محو الخطايا السابقة وترك
المواخذة او المنع من الوقوع فيها والعصمة منها بالنسبة للاحقه وهذا مجاز لان
المباعدة انما تكون في المكان او الزمان ثم اصلها لا يقتضي الزوال بالكلية كما هو
المراد من الحديث بل يقتضي البقاء مع المباعدة وكذلك التشبيه بما بين المشرق
والمغرب قال ابن دقيق العيد وموقع التشبيه ان التقا المشرق والمغرب
مستحيل فكانه اراد ان لا يبقى للخطايا منه اقتراب بالكلية والاتيان بصيغة
المفاعلة للمبالغة لعدم صحة المغالبة قال القرطبي هو من باب المبالغة
في طلب السلامة من الذنوب وكرر لفظ بين هنا بقوله وبين خطاياي لان العطف
على الضمير المجرور يعاد فيه الخافض والخطايا جمع خطيئة واصلها خطايي بوزن فعايل فابدلت
اليا بعد الف الجمع همزة فصار خطائي بهمزتين ثم ابدلت الهمزة الثانية يا لتطرفها
ثم قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار خطاءا بالفين بينهما همزة
فاجتمع شبه ثلاث الفات فابدلت الهمزة يا فصار خطايا بعد خمسة اعمال والخطيئة
فعيلة من الخطء بكسر اوله الذنب وفرق بينه وبين الاثم بانها ما بين العبد وربه
وهو بين المخلوقين ونظر فيه بانه استعمل كلا منهما فيما قيل انه للاخر وقد تقرر
غير مرة ان هذا وامثاله منه صلى الله عليه وسلم من القيام بمقام العبودية واداء
حق الالوهية فلا ينافي عصمته من سائر الذنوب صغائرها وكبائرها قبل النبوة
وبعدها ومثله في ذلك جميع الانبيا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
اذ اعلى احواله كلها خطيئات وذنوب بالنسبة لعظم جلاله تعالى وعظيم حقه
سبحانه العاجز عن القيام بها على كمالها حتى الكمل من الخلق كما اشار اليه
صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك او المراد خطايا امته او مما وقع منه مما عتب عليه لمخالفته الاولى
والاكمل بنظر العلي مقامه صلى الله عليه وسلم كما في عفى الله عنك ونحوه او انه
تعليم للامة وان استحال في حقه صلى الله عليه وسلم قوله نقني من خطاياي
هو مجاز عن زوال الذنب ومحو اثره وفيه الاشارة الى ان الذنب سبب لاظلام
القلب قوله من الدنس وفي رواية من الدرن وفي رواية من الوسخ وكلها متقاربة
او مترادفة فان الدنس بفتحتين اوليه الوسخ فلما كان النقا اظهر في الثوب الابيض من غيره

من الالوان

من الالوان وقع التشبيه به قوله اغسلني من خطاياي هذه رواية مسلم اي طهرني منها
ورواية غيره اللهم اغسل خطاياي قوله بالثلج والماء والبرد كذا في نسخ الاذكار وفي
المشكاة تقديم الما عليهما قال الخطابي هذه امثال ولم يرد الشارع اعيان هذه
المسميات وانما اراد بها التوكيد في التطهير من الخطايا والمبالغة في محوها عنه والثلج
والبرد ماءان لم تمسهما الايدي ولم يمتهنهما استعمال فكان ضرب المثل بهما اكد
وقال ابن دقيق العيد هذا مجاز ويحتمل امرين احدهما ان يكون المراد التعبير
بذلك عن غاية المحو بالامور الثلاثة فان الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة اشياء
منقية يكون في غاية النقا ثانيهما ان يكون كل واحد منها مجازا عن صفة يقع بها
التكفير والمحو ولعل ذلك في قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فكل واحد
من هذه الصفات له اثر في محو الذنب والى هذا اشار الطيبي بحثا فقال يمكن
ان يقال المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الما شمول انواع المغفرة والرحمة بعد العفو
لاطفا حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة ومنه قولهم برد الله مضجعه اي
رحمه ووقاه عذاب النار ويؤيده وصف الما بالبارد في رواية مسلم من حديث
عبد الله بن ابي اوفى ولعله جعل الخطايا بمنزلة جهنم لانها مسببة عنها فعبر عن اطفا
حرارتها بالغسل وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الما الى ما هو ابرد منه
وبهذا ظهر السر في التعبير بالما البارد والثلج والبرد مع ان الما السخن ابلغ في اذهاب
الوسخ من الما البارد وقال التوربشتي انما خص هذه الثلاثة بالذكر لانها منزلة من
السما ولا يمكن حصول الطهارة الكاملة الا بواحدة منها فكان تبيانا لانواع المغفرة
التي لا يخلص من الذنوب الا بها اي طهرني من الخطايا بانواع مغفرتك التي هي في
تمحيص الذنوب بمنزلة هذه الانواع الثلاثة في ازالة الارجاس ورفع الاحداث
والانجاس وقال بعضهم عبر بالما عن الرحمة وبالثلج عن العفو وبالبرد عن
المغفرة وفي فتح الاله ويصح ان يشار بجمع الثلاثة الى المبالغة بطلب انواع من
المغفرة والرحمة والرضا تطفي حرارة العذاب المتولد من تلك الخطايا ثم
يتبوا رياض النعيم ثم يمنح معالي الشهود ودوام القرب ولا ينظر لكون مفاد
الجملتين واحدا لان المقام مقام اطناب على ان الثانية ابلغ لانها افادت
من المقابلة الاولى كما علم مما تقرر وفي الاخيرين على الما اشارة الى ما هو المقرر
عندنا من انهما مثله في تطهير الحدث والخبث الحسيين انتهى وقال الكرماني
يحتمل ان تكون الدعوات الثلاث فيها اشارة الى الازمنة الثلاثة فالمباعدة
للمستقبل والتنقية للحال والغسل للماضي وفي فتح الباري الحكمة في تقديم
المستقبل الاهتمام بدفع ما ياتي قبل رفع ما حصل والثلج معروف
والبرد بفتح الموحدة والرا المهملة حب الغمام قال الهروي سمي بردا لانه يبرد
وجه الارض قوله سبحانك اللهم الخ اقتصر المصنف على ما ذكر ورواه جابر
وزاد في حديثه بعد قوله غيرك وجهت وجهي الخ وبتلك الزيادة اخذ في الروض